11 me Année No. 522

Lundi - 5 - 7 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

للمواعيد

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٢٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ٥ يولية سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة			
٥٢١	دفاع عن اللغة	:	أحمد حسن الزيات .. ...
٥٢٣	الحديث ذو شجون : الحياة والموت في الآية القرآنية . احترسوا من الأموات . الفضل الوريق		الدكتور زكي مبارك . ...
٥٢٦	ألف ليلة	:	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٢٩	النماذج البشرية المهمومة !	:	الأستاذ سيد قطب .. ..
٥٣١	موريس مترلنك	:	الأستاذ صلاح الدين المنجد
٥٣٣	مناحة أرياء النساء قديماً	:	الأستاذ كوركيس عواد ...
٥٣٥	تشارلز دكنز : مواهبه وخصائص فنه		الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٥٣٨	قطرة دمع ... [قصيدة]	:	الأستاذ محمود حسن اسماعيل
٥٣٨	كانت لنا أيام «	:	الأستاذ حسن كامل الصيرفي
٥٣٩	من شاعر إلى شاعر ...	:	الأستاذ إلياس أبو شبكة ...
٥٣٩	تصويبات شعرية في كتاب « الملوك » للقريزي ...		الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٥٤٠	إلى الأستاذ الدقاد	:	حافظ ... .
٥٤٠	إلى الدكتور محمد مصطفى ...	:	(ابن الطاهر) ... .

١٣ ـ دفاع عن البلاغة

٥ ـ الأســلوب

خلص لنا من فحص هذه الأحاديث أن الأسلوب الفني يتكوّن من الصورة والفكرة كما يتكوّن الماء القراح من الهدروجين والأكسيجين . وكما استحال في فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحد عنصريه ، فقد استحال في فن الإنسان أن يتكون الأسلوب من أحد جزأيه . ولا أقصر وجه الشبه بين الأسلوب والماء على أن تركّب هذا وذاك من عنصرين ضربةُ لازب ؛ إنما أمد الشَّبَه إلى أن نسبة الصورة إلى الفكرة في الأسلوب يجب أن تكون كنسبة الهدروجين إلى الأكسيجين في الماء[1] . وإذن لا يعد من الأساليب الفنية تلك المعاني الحكيمة التي تُعرض في معرض يشع من الركاكة والغثاثة والتعقيد والخطأ ، ولا تلك الصور الموهة التي تنتفخ انتفاخ الفقاقيع ، وتبرق بريق الشرر ، ثم لا يكون من ورائها غير فراغ وظلمة . قال ابن رشيق : « ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب ، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح . فان اختل المعنى كله وفسد ، بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنه لا يُنتفع به ولا يفيد فائدة . وكذلك

(١) نسبة الهدروجين إلى الأكسيجين في الماء هي نسبة اثنين إلى واحد

إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ، لأنا لا نجد روحاً فى غير جسم ألبتةَ »[1]

* * *

على ذلك نستطيع أن نتحدث إليك اليوم عن سفات الأسلوب الذى عرفناه وآثرناه . وحاشاك أن تفهم مما قدمتُ أن فى ذهنى أسلوباً معيناً جعلته النموذج ، وأن فى بالى نموذجاً خاصاً جعلته المقياس ؛ فإنى ذكرت لك من قبل أن الأساليب تختلف باختلاف الذهن والثقافة والنوع والغرض والحال والشخص الذى يتحدث . فأسلوب القصة غير أسلوب الرواية ، وأسلوب العتاب غير أسلوب الشكر ، وأسلوب التأثير غير أسلوب الإقناع ، وأسلوب العالم غير أسلوب العامل ؛ وكل أسلوب بليغ فى بابه ، مقبول من أصحابه . ومن العسير علىّ فى هذه اللمحات أن أستوعب الصفات الخاصة بكل أسلوب لكل نوع ؛ فإن موضع ذلك عند تفصيل القول فى الأنواع الأدبية وقواعدها الثابتة وشروطها المميزة ؛ ولكن لهذه الأنواع مهما تعددت واختلفت صفات مشتركة من جهة الأسلوب ، كما أن لها ملكات مشتركة من جهة الذهن . هذه الصفات المشتركة هى التى تعنينا ونعنيها ، وهى التى سنحاول بسط الكلام فيها

تقرأ فى كتب النقد والبلاغة فتجد من صفحة إلى صفحة سلاسل من الوصف الجزاف تتلاحق على الكلام البليغ فلا توضحه ولا تحدده . ذلك لأن أكثرها من الألفاظ التى أشاعها الكتاب فى الناس من غير تقييد ولا تحديد فظلت معانيها مبهمة ودلالتها شائعة . من ذلك قولهم : الجزالة والسهولة والعذوبة والرقة والدقة والخفة والقوة والسلاسة والرصانة والنصاعة والوضوح والصدق والطلاوة والحلاوة والرونق والمائية والطبيعية والسبك والحبك والشرف والسمو والجمال والجلال ، إلى آخر هذه النعوت المتداخلة التى لا تعين حداً ولا تبين مزية

وأنت إذا تدبرتَ هذه الصفات على علاتها ثم عرفتها وصنفتها لا تجدها تخرج عن صفات ثلاث هى جلتها وجماعها : تلك الصفات الجامعة هى الأصالة ، والوجازة ، والتلاؤم . ويقابلها فى الفرنسية (L'originalité, la concision, et l'harmonie) وسنفيض القول فى كل صفة منها ما وسعنا البيان والجهد

يُراد بالأصالة فى الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة . وتلك هى الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق . وملاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس . ملاكها أن تكون أصيلاً فى نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك ، فلا تستعمل لفظاً عاماً ولا تعبيراً محفوظاً ولا استعارة مشاعة . ولعلك قرأت فيما قرأت كلاماً يرضى اللغويين ويعجب النحاة ، ولكنه مضطرب الدلالة مختلط الألوان تفه المذاق لا تستقله روح ولا تمثله صورة . ذلك هو الأسلوب الذى صدر عن الذاكرة ولم يصدر عن الذهن ، ونقل عن الناس ولم ينقل عن النفس ، وعبر بالجمل لا بالكلمات ، وأبان بالتقريب لا بالدقة ، وصور بالسوق المبتذل لا بالأصيل المبتكر

أما خصوصية اللفظ فدلالته التامة على المعنى المراد ووقوعه الموفق فى الموقع المناسب . وآية مطابقته لمعناه ومبناه أنك لا تستطيع أن تبدله ولا أن تنقله . والخصوصية فى اللفظ أصل الدقة فى التعبير والوضوح فى المعنى والصدق فى الدلالة ؛ لأن الكلمة إذا تمكنت فى موضعها الأصيل دلت على المعنى كله ؛ فإذا حُشرت فيه حشراً ، أو قسرت عليه قسراً ، دلت على بعض المعنى أو أبانت عن غيره

وفى اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخلق ؛ لأن الكلمة ميتة ما دامت فى المعجم ؛ فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها فى التركيب ، ووضعها فى موضعها الطبيعى من الجملة ، دبت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة ، إذا وُضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة . وللكلمات أرواح كما قال (موباسان) . وأكثر القراء ، وإن شئت فقل أكثر الكتاب ، لا يطلبون منها غير المعانى . فإذا استطعت أن تجد الكلمة التى لا غنى عنها ولا عوض منها ، ثم وضعتها فى الموضع الذى أُعدّ لها وهُندِس عليها ، ونفخت فيها الروح التى تعيد لها الحياة وترسل عليها الضوء ، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبيعية والوضوح ، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة فى موضع الكلمة . وذلك فى الجهاد الفنى فوز غير قليل .

(الكلام بقية)

أحمد حسن الزيات

(١) كتاب العمدة ج ١ ص ٢٨